في القصر الاصفر

بين المجانين

أصدر مؤخراً الصحافي الفرنسوي الشهير المسيو البير لوندر (*Albert Londres*) كتاباً أسماه بين المجانين جمع مواده بنفسه ولهذه الغاية زار مستشفيات الامراض العقلية ولبث مدة بين المجانين وكتابه هذا فريد في نوعه وقد أكسب صاحبه شهرة واسعة وعلما منا بأن هذا الموضوع جديد ولذيذ في آن واحد فاننا نقتطف فصلا من فصول هذا الكتاب فنقول

قال الكاتب :

دخلت في جنبات فرنسا الغربية مستشفى للمجانين فرافقني طبيبه وبعض الممرضين الذين قادوني الى قسم المجانين الهائجين فالفيت اثنين منهما عريانين والى جانبهما ثالث يتخطر ذهاباً وإياباً وقد ارتدى ثوباً طويلا ولبس قبة قميصه المكوية على يده كالسوار . ويبلغ عددهم في هذا القسم نحو سبعين مجنوناً

دنا مني أحدهم وعلى وجهه امارات الاهتمام وبعد ان تفرس بي طويلا قال لا تؤاخذني لان المخاط يسيل من انفي . . . انني مت مرتين ولكن يظهر انني ما زلت حيا . وكنت قبل اليوم أدير محلا كبيراً وهل ترضى أن تكون سكرتيراً لي وهذا يدل على ثقتي بك فان قبلت هذه الوظيفة تخفف عني عبء الاعمال وان رفضتها فانى اكون مضطراً الى تحمل الاتعاب في ادارة اعمالي وقد كان يتكلم وهو واضع اصبعه على جبهته . واعلم ياصاح انك اصبحت الان وزيراً لبلاطي . ثم رأيت مجنونا اخر اذا لحية حمراء وعلمت انه كل يوم يصبغ لحيته بمسحوق القرميد فانه كل صباح يقلع من الحائط قطعة من القرميد الاحمر ويصحنها ويأخذ ترابها ويصبغ به لحيته واذا ما هب الهواء تطاير عن لحيته غبار احمر

ثم أشار احد الممرضين الى مجنون اخر وقال : ان هذا لا يخاطبك ولكنه يمد لك لسانه فدنوت منه وقلت له : مد لسانك ففتح فمه فرأيت له نصف لسان فقط وذلك ان احد رفاقه المجانين قال له ذات يوم مد لسانك ولما مده هجم

عليه وعض لسانه فقطع نصفه وبقي المجنون بنصف لسان ورأيت مجنوناً آخر بأذن واحدة لان احد رفاقه قطع اذنه الاخرى بأسنانه

واشار المعرض الى مجنون اخر وقال : انظر الى ذلك المجنون الذى يسن كوعه وفي الحقيقة رأيته يحك كوعه على حجر بلا انقطاع حتى أدماه وهو يجد بذلك لذة عظيمة وظهر لي ان المجانين لا يشعرون بالالام وهم يبلعون ملاعق الاكل كما تبلع نحن لقمة الطعام . . ووقع فى يد احد المجانين منشار فجعل ينشر به صدره من الجهة اليسرى وهو يضحك ويقهقه ولما جاء الطبيب وجد قلبه ظاهراً وقد لاحظت ان احد المجانين يطيل التفرس بي فالقيت عليه نظرة فرأيته قد وضع يديه على صدره بشكل صليب كما رأيت شفتيه تهمسان بعض الكلمات فاذا هو يصلي ولما وقفت وقف ولما سرت سار فقلت له : خير لك ان تقف الى جانب الجدار وتصلي ولكنه لم يفقه كلامي بل لبث واقفا امامى يصلي وعلمت انه حسبني ايقونة وجعل يصلي امامي . ورأيت مجنوناً يصفر بصفارة بيده وقد كان قبل ان زار المستشفى رئيساً لاحدى المحطات فهو يصفر دائماً ويسفر القطارات التي لا يراها احد غيره ولما رآني صاح بي قائلا : قف مكانك حتى يمر القطار فأطعت صاغراً وبعد لحظة قال لي سر الى الامام فقد مر القطار . ثم رأيت مجنونا اخر كان من قبل فلاحا فقال لي : عند ما كنت فى الحقل شعرت بتغير فى مداركي وكان عمري اذ ذاك ثماني سنوات فلم اعرف امرأتي واولادى فسألته كم عمرك الان ؟ فقال ثماني سنوات وثلاثة اشهر . فقلت له انك كبير وطويل فأجاب نعم انا القنصل الاول فى هذه المدينة

ثم دنا منى مجنون اخر وقال : انا بحري واسافر دائماً على باخرتي التي تبلغ حمولتها ٢٦ الف طن واجتاز البوسفور والدردنيل حيث ادخل المخازن واشتري الهوائم عدا الشقر منهن ثم اسافر بهن الى جزيرة صاقس لاني ملك على الف جزيرة

فى قسم النساء

وبعد هذه المشاهد قالت لي راهبة ناظرة قسم النساء هلم لاريك تلميذاتي فسرت على اثرها وسار معنا الطبيب ودخلنا قاعة واسعة الفينا فيها عدداً من النساء يتعاطين بعض الاشغال وهن صامتات لا ينبسن ببنت شفة . رأيت

واحدة تخيط على ما كنة الخياطة وقد القت علينا نظرة حادة ثم ابصرت بقية النساء وقد وضعت كل واحدة منهن اصبعها فى فمها وجعلن يقهقهن قهقهة مزعجة ثم وقفت احداهن ودنت منى وقالت ! اثنان واثنان اربعة والثلاثة موجودة فى مرسيليا ثم قالت الا تطلقون سراحى اليوم فأجابتها الرئيسة سيكون ذلك غداً فابتهجت لدى سماعها هذا الجواب وجعلت تعيده مرارا وتكرارا ولما سمعتها المجنونات قامت بينهن ضجة هائلة وجعلن يصخبن ويصرخن قائلات فليسقط العار على رأس الدكتور وعلى رؤوس عائلته . وعلى شهادته فانه زجنا فى هذا المكان وبعد فترة من الوقت عدن الى السكينة ثم التفت الطبيب الى مجنونة وقال : كيف صحتك اليوم ايتها السيدة أليس فأجابته : ان صحتي دائماً جيدة وأظن انه حان الوقت الذي يجب به اطلاق سراحي بعد ان اقمت هنا ست سنوات . ثم دنت منا فتاة حسناء ودموعها تنحدر من عينيها فقال لها الدكتور : الحمد لله انى اراك يا مدموازيل الين بصحة تامة . فقدت هذه المسكينة فى خلال الحرب العظمى منزلها واهلها وأصبحت شريدة فى الحقول فقادها البوليس الى هذا المكان

ثم دنت منا سيدة شقراء وجذبتنى من كمي وقالت : عم صباحاً يا زوجى العزيز لماذا غبت عنى طويلا . ثم دنت منا مجنونة اخرى ولما وقفت امام الناظرة رفعت قسطانها من الامام ثم خلعته ووقفت امامنا عارية ثم دنت منا أخرى وقالت لي : ابيا السيد العظيم اصغ لما اقول:ان قداسة الحبر الاعظم بابا رومية عينتى رئيسة للدير ومديرة للفاتيكان . ولما دخلت مرة الكنيسة جاء الحارس وطردنى وفى هذا الوقت دخل علينا كاهن فاستنجدت به وقلت له : انا رئيسة الدير وحينئذ قادونى الى هذا المكان . ومتى يا ترى يرجعون الي حقوقي ؟ ومن انت ؟ هل أنت راهب أم أسقف أم شماس ؟ او انك كلب ابن كلب ؟

ثم دنت منا مجنونة أخرى ولما رأت الرئيسة دفعتها بأصبعها وقالت : الى متى؟ الى متى ؟ ثم أخذت ترقص امامها وتغني الاغنية الاتية : ثلاثة خلان . كل يوم عندها ثلاثة خلان . تأخذهم هي كل يوم الى السطح حيث تجلس واياهم فى ركنة وتفترسهم . وانا ليس عندي حتى ولا زوج شرعى . كل يوم ثلاثة خلان .... يجب عليك ان تتوبي

فقالت لها الرئيسة لقد فضحتيني امام الناس . . . . يكفي واذهبي بسلام

يا فوريا فذهبت وهي ترتعش من الغيظ

ثم رأينا مجنونة تسير ذهابا وايابا بسرعة متناهية . فقالت لها الرئيسة اجلسي يا مدام رايمون : فأجابت لا أريد الجلوس مع هؤلاء السيدات لانهن كلهن غير مريضات واخشى ان يعدينني بصحتهن

ورأينا مجنونة ترفس الارض بكعب حذائها وهي تصرخ قائلة : هل وقعت يالافون ! هل وقعت يا الفونس ! وكان هذان من اعدائها وهي تدوسهما الان برجلها

ملح ونوادر

الولد الصغير — جاء رجل يا أبي يقول انه يعطي كل مامعه حتى يراك

الوالد — ومن هو يا ولدي ؟

الصغير — رجل اعمى ! . . .

ذهب رجل غاسقوني ليعترف أمام القسيس بأنه أفرط في تناول الخمر وبعد الاعتراف أخرج الرجل خمسة سنتيمات وقدمها للقسيس

فقال له هذا :

— احفظها معك يا صاحبي ثمن كأس أخرى

صاحبة البيت — بكم اشتريت هذه الفاكهة ؟

الخادم — لم أشترها يا سيدتي !

السيدة — ومن اين جئت بها ؟

الخادم — من حديقة جارنا

السيدة — وهل سرقتها ؟